**زيارة خاصة**

وقف الجنديان على باب المنزل ، مرتديين ثياباً تروح ألوانها بين البني والأحمر ، وعلى صدر كل منهما طرز فحل أسود طويل الشعر يشب في الريح -شعار عائلة ريدلر-. على حزام كل منهما علقت الخوذة المدببة على مقبض السيف. وأخذا ينظران إلى جيمز لاوريل بصبر يكاد ينفد.

«ألم يقل لكما حضرة اللورد لماذا؟» سألهما جيمز والفضول يملأه. لم يكن معتاداً أن يطلبه اللورد الشاب إلى القلعة. منذ أن جاء جيمز مع أمه وابني عميه إلى تورج ، وهو الذي كان يطلب مقابلة بايت ريدلر ، ومرة من كل ثلاث مرات كان يجيب جيمز بأنه مشغول حتى قبل موت اللورد تونموند ريدلر ؛ قبل أن يصبح بايت لورداً.

أجابه الجندي طويل القامة :«سيدي اللورد ليس معتاداً أن يشرح لنا أوامره ، وتعلم الآلهة أنه لا يحتاج أن يشرح شيئاً لصبي مزرعة». يذكر جيمز جيداً أنه صبي مزرعة الآن ، مهما كان ما كانه قبل ذلك ، ***مهما كان ما كانه أبي ، أنا لم أكن شيئاً من قبل سوى ابن لفارس***.

-«أفهم هذا».

بدى على الجندي الأقصر إحساس بالذنب -أو الشفقة- لإجابة رفيقه فقال :«اللورد ريدلر طلب حضورك لخدمة ما يريدك أن تؤديها ، لا تخف ، لست واقعاً في مشكلة. قال حضرة اللورد أن باستطاعتك إحضار ابني عميك أيضاً ، إذا لم يؤخرك ذلك».

***هكذا إذاً*** ، فكر جيمز. زاده ذلك فضولاً ، لعل بايت ريدلر قد استمتع بصحبة جيمز -قبل أن يصبح اللورد ريدلر- ولكنه لم يهتم أبداً بأحد ابني عميه. إيثان وكلاوس تربيا مع جيمز في قلعة ريدفيلد شمال أرض السارين ، وكلاهما ولدا في تورج كجيمز ، قبل أن يغدق الملك بيرثولد هانس على أبيه السير رايان لاوريل بقلعة ريدفيلد.

-«سأقول لهما حالاً ، وسأجهز في غضون دقائق».

قال الجندي طويل القامة :«لا تأخذ وقتك ، واترك ابني عميك إذا كانا سيؤخرانك ، لا زال علينا الركوب إلى القلعة».

قال جيمز بهدوء :«فهمت ذلك أول مرة ، أيها الجندي».

أغلق جيمز الباب ودخل إلى داخل المنزل. بالنسبة لبيت ريفي ، فإن مقر عائلة لاوريل الجديد كبير ومريح ، يتألف من بنائين من قرميد البناء والخشب ، القسم الذي ينزل فيه جيمز مع أمه الليدي إينيس هو الأكبر حجماً ، يتألف من طابقين ، السفلي عبارة عن غرفة معيشة كبيرة ، بالإضافة إلى مطبخ ، وغرف ثلاثة في الدور العلوي.

عبر جيمز الرواق الذي يقود للباب الخلفي ، وخرج إلى الأرض الترابية تحت ظل العريشة القصبية التي تتصل بالبنائين ، وأسرع نحو القسم الذي ينزل فيه إيثان وكلاوس. فتح الباب دون الحاجة أن يطرقه ، ووجد إيثان جالساً في غرفة المعيشة الأصغر حجماً ، يشرب الشاي ويقرأ كتاباً ، ويبدو أنه لم يسمع الجنديين اللذين طرقا الباب الأمامي للمنزل.

سأل جيمز :«أين كلاوس؟».

أجاب إيثان دون أن يرفع عينه عن كتابه :«إنه نائم ، ما الخطب؟».

قال جيمز :«نائم حتى الآن!».

-«لقد قضى الليلة في خان "الشماليين الثلاث" ، وأحضره دافن من القرية قبل الفجر ، محملاً على عربته. لقد كان ثملاً بحيث لا يدري من هو ، وضعته في فراشه ولم يتحرك حتى الآن ، أراهن بحذائي أنه ميت». لم يتفاجأ جيمز ، كلاوس لم يتكيف مع الحياة في القرية. لكنه كان يملك أملاً بأن اليوم قد يكون عطلة لكلاوس عن السكر.

-«لا وقت لإيقاظه ، فلترتدي ثيابك ، علينا الذهاب إلى تورج».

قال إيثان محاولاً إلقاء دعابة :«ألسنا في تورج الآن؟».

أجاب جيمز بتململ :«لقد أرسل بايـ-اللورد بايت لأخذنا إلى القلعة». ليس من الصعب تذكر أن بايت ريدلر هو لورد الآن ، لكن العادة جرت على لسان جيمز بأن يدعوه بايت ، كما طلب منه هو قبل أن يصبح لورداً. ***لا يجب أن أخطئ الآن.*** «هل يمكنك التجهز ، سنتحدث على الطريق. سأجهز الخيول». هز إيثان رأسه وجرع من كوب الشاي بسرعة.

عاد جيمز أدراجه إلى أرض المزرعة ، وعبر نحو الاسطبل الصغير ، حيث يحتفظ بالخيول الثلاثة : أثمن ممتلكاته. استقبلته رائحة الخيول والروث قبل أن يدخل ، وفي أحد الأكشاك المصنوعة من خشب السرو ، صهلت الفرس البيضاء والرمادية "فير" التي اعتاد جيمز ركوبها عند الذهاب إلى قرية "روانز ستون" ، و في آخرٍ صهل خيل الحرث "وينتركلاود" الرمادي. لكن "ستورمر" لم يكن موجوداً في أي مكان. ***اللعنة ، لابد أن كلاوس ركبه إلى القرية وتركه هناك. سيضطر إيثان إلى ركوب خيل الحرث ، سيتدبر أمره.***

وضع جيمز سرجاً على فير ، وبدأ يربط الأحزمة عندما دخل إيثان مبتسماً ، وكأنه يحاول أن يقرأ رد فعل جيمز على اختفاء ستورمر.

-«سأسلخ جلد كلاوس حياً ، لا بد لأحد أن يحشو رأس ذلك الأحمق ببعض المنطق. قبل أن يتسبب في قتل نفسه».

أجاب إيثان :«قد يقول كلاوس الكلام نفسه عنك. وعني بصراحة ، الرجل يرى المنطق في تجرع المزر ولعب النرد». بدأ إيثان بتجهيز وينتركلاود وأكمل «أعتقد أنني سأجعله يعود إلى روانز ستون على قدميه ليعيد ستورمر. فلتشرح لي الآن ، ماذا يريد اللورد ريدلر منا».

-«سنعرف فقط عندما نصل».

كان الجنديان راكبين بالفعل عندما خرج جيمز وإيثان إليهما جارّين الخيلين. رمق الاثنان إيثان بتساؤل. ثم هز الجندي قصير القامة رأسه ، معطياً ابني لاوريل إيعازاً للركوب.

الطريق شرقاً إلى القلعة لا يمر بالقرية. فمزرعة آل لاوريل هي أقرب مزارع روانز ستون إلى تورج. بدلاً من ذلك اختار الجنديان طريقاً عبر الأراضي يشبه ما يسلكه جيمز عندما يزور القلعة وحده. مروا عبر حِرج كثيف من أشجار الصنوبر العالية غير المثمرة ، تملأ الأرض تحتها الإبر والأكواز الفارغة. ثم خرجوا من الحرج مارين بطاحونة السيد جابريل. ومنها يخرج طريق تحدده عجلات ألف عربة دخلت وخرجت من الطاحونة ، يتصل بالطريق المعبّد بالتراب المكدس الذي يمر بعد ميل واحد بالقرية التالية باتجاه القلعة.

تأخر جيمز وإيثان عن الجنديين مسافة تسمح لهما بالكلام دون أن يسمعاهما. بدأ إيثان الكلام قائلاً :«أشعر بأنه يتم سوقي إلى سجن القلعة كلصوص الخيول ، ألم تفهم منهما شيئاً».

فكر جيمز قليلاً ثم قال :«لو أنهم يسوقاننا إلى سجن القلعة ، لما تركا كلاوس. تعلم الآلهة أنه يبدو كاللصوص أكثر مما نفعل».

-«أما زلت غاضباً من أجل ستورمر ، سأحضر الخيل بنفسي عندما نعود».

«لست غاضباً من كلاوس ، إيثان» أجاب جيمز بسرعة ، «بل أشفق عليه ، أخبرني متى كانت آخر مرة نام في المنزل؟» ثم أتبع «دون أن يثمل».

نظر إيثان إلى البروز في مقدمة سرجه وارتدى تعبيراً مكشراً على وجهه ، وكأنه يريد التحدث في أي شيء عدا هذا ، لكنه أجاب :«كان هذا منذ فترة ليست بعيدة جداً. لا تقس عليه يا جيمز ، وحدها الآلهة تعلم ماذا يدور في رأسه ، عندما يكون صاحياً على الأقل».

-«كما تقول. على كل حال ، أظن أنني أعلم الآن ماذا يريد بايت» دائماً ما وجد جيمز في نفسه القدرة على قراءة أفعال الآخرين ونواياهم ، وقد قال الماجستر إموند الذي علمه في قلعة أبيه بأنه يتمتع بالذكاء وحس الفراسة.

-«وماذا يكون هذا؟».

-«ببساطة شديدة ، أظن أنه يريدنا أن نقف خلفه».

كشر إيثان في وجه جيمز ، بدا وكأنه ظنها مزحة ، لكن بعد صمت جيمز تغيرت ملامحه إلى التساؤل بدلاً من ذلك. نظر الجندي طويل القامة -نسي جيمز أن يسأله عن اسمه- باتجاههما من فوق كتفه ، وأشار لهما بالاستعجال.

همز جيمز فير لتسرع قليلاً ، واستطرد قائلاً :«سترى بنفسك حين نصل».

لكن إيثان جارى السرعة بالسرعة ، ولحق به. بدا أنه يفكر قليلاً ثم قال :«نقف خلفه! ليعرض أنه ليس خالياً من الأتباع. يريد أن يبدو مهماً أمام أحد ، ونحن من أبناء النبلاء. أسهل نبلاء يمكنه أن يجدهم». دائماً ما يفهم إيثان ما يفكر يه جيمز دون أن يقوله. ولو كان هذا مزعجاً بعض الشيء أحياناً ، إلا أن جيمز يقدر وجود شخص يباريه بالذكاء.

-«أحسنت. والآن يبقى السؤال ، من هو الضيف الذي يريد اللورد ريدلر أن يتباهى أمامه».

«اللعنة» قال إيثان وسحب عنان خيله ليتسمر في مكانه ، فلم يجد جيمز شيئاً يفعله سوى أن يقف هو الآخر. ومن مسافة قصيرة أمامهم قال أحد الجنديين بصوت مرتفع :«ما الخطب؟».

سأل جيمز :«ما الأمر؟ هل نسيت شيئاً؟».

أجاب إيثان وبدا عليه أنه يحاول أن يكبح غضبه :«لم أنس شيئاً. لكنني أظن أن اللورد ريدلر هو من نسي». قوّس جيمز حاجبيه ، ليكمل إيثان :«أحياناً أرى بوضوح كم أن كلاوس محق في كل ما يفعله».

-«لا وقت لهذا ، إيثان».

أجابه ابن عمه الشاب :«لا. لا أظن» ، وهمز وينتركلاود ليواصل التقدم. وكأن شيئاً لم يحدث ، تابع الجنديان الركوب. «لكن ذلك لا يعني أنني سعيد جيمز. لعلك تكون سعيداً ، لكنني لست كذلك».

-«إيثان ، هل تتكلم بجدية؟ فلتسمع نفسك. دائماً ما تقف في صفي عندما يفتح كلاوس هذا الموضوع ، ماذا جرى الآن». يرى كلاوس أن عائلة ريدلر أهانت عائلة لاوريل عندما اضطروهم للعيش في مزرعة في قرية روانز ستون.

-«فلتفهم جيداً ، جيمز ، لعلي لا أوافق أن يتحدث كلاوس عن اللورد تونموند ريدلر وكأنه أهاننا عمداً ، لكن إذا لم يكن الرجل يدين لنا بشيء ، فنحن لا ندين لابنه بشيء كذلك. أليس من قلة الاحترام أن يرسل جنوداً ليسوقونا إلى القلعة كما تساق الخراف إلى الزريبة؟ لماذا لم يرسل لنا دعوة البارحة؟».

-«لأننا ببساطة لسنا أنداداً لبايت ، إيثان. تتحدث وكأننا أنداده ، ولكننا لسنا كذلك. إنه لورد ، اللورد ولي أمرنا ، ونحن عائلة لفارس متوف ، لسنا فرساناً ، بل عائلة لفارس ، والآلهة تعلم أننا لسنا لوردات. واللورد تونموند ريدلر لم يكن مديناً لنا بشيء. لقد تركنا قلعتنا بإرادتنا ، وجئنا إلى تورج بإرادتنا أيضاً». أدرك جيمز أن نبرته كانت قاسية بعض الشيء ، لكنه رفض أن يكون له ابني عمين أحمقين ، ***تعلم الآلهة أن واحداً يكفي ويزيد***.

-«كان من اللياقة أن يضمنا إلى بلاطه ، كان يمكن أن يجعلنا ربائبه ، ويضم الليدي إينيس إلى بلاطه». ابتسم جيمز ، إيثان -وكلاوس أيضاً- لا يدعو أم جيمز بالليدي إينيس إلا عندما يكون له مآرب خفية -عادة ما يدعوها أمي تماماً كجيمز-.

قال جيمز محافظاً على الغضب الذي وجده :«إيثان ، يجب أن تفهم أن العالم أكبر بكثير من أن يهتم الجميع بكل التفاصيل ، خصوصاً في بقعة صغيرة من العالم كتورج ، اللورد ريدلر لا يحتاج المزيد من الناس في قلعته ، بل يحتاج إلى المزارعين ، وأصحاب الحرف ، تماماً كما احتجناهم في ريدفيلد». ***في الواقع ، احتجنا كلي النوعين في ريدفيلد***. «إذا كنت بحاجة إلى أحد تلومه على خروجنا من ريدفيلد ، يمكنك أن تلوم الملك بيرثولد هانس».

أطلق إيثان صفيراً من بين أسنانه وبدأ ينظر يميناً ويساراً ، وكأنه يبحث عن أحد سمع جيمز ، ثم قال :«كلام كهذا يرن في الأذن ، جيمز ، ويصدر صدىً من أفواه عديدة لا يتوقف حتى يصل إلى الأذن الخاطئة». ثم قال :«أنت محق. اللورد بايت لم يخطئ في حقنا ، لا بد أنه الشعور بالأسى على أنفسنا الذي يجعلني أتكلم. انظر إلينا ، نحن آل لاوريل!».

يعلم جيمز أن إيثان محق في شعوره بالأسى ، ***آل لاوريل***. لا يعني إيثان بالطبع الأيام التي كان فيها السير رايان لاوريل فارساً يملك قلعة. بل الأيام الخوالي ، في غزو الجنوب ، منذ نحو أربعمائة سنة. قد يكون آل هانس ملوكاً اليوم بينما جيمز وابني عميه صبية مزرعة ، لكن في غزو الجنوب ، كان آل لاوريل وآل هانس سواسية. أو بالأحرى ، كان "تيريل هانس" و "ماكسميل لاوريل" سواسية ، فاتحا الجنوب المقدامين.

ألف أغنية تتحدث عن الغزو ، ولا يجرؤ أحد إلى اليوم على نسيان اسم ماكسميل لاوريل من واحدة منها. إذا صدقت واحدة من كل عشرة أغانٍ ، فعند ركوب تيريل وماكسميل إلى الحدود الشمالية لما يعرف اليوم بمملكة هانس ، فقد أتيا من ويتفورد وحدهما ؛ لا يقودان جيشاً ، ولا يملكان إلا مطيتيهما وسيفيهما وما يرتديانه. «نحن آل لاوريل» قال جيمز مؤكداً. عندما تربع تيريل هانس على عرش المملكة ، كان ماكسميل وزيره الأعلى ، واستمر ذلك آخر أفراد آل لاوريل في "هانسبيرغ" منذ مئتي عام تقريباً. جيمز وابني عميه ينحدران من ذرية ابن أصغر في مرحلة ما أثناء ذلك ، ويظن جيمز أنهم -أغلب الظن- آخر من تبقوا من ذرية ماكسميل لاوريل.

قطعوا بقية المسافة إلى قرية "فيرينزجروز" خلال ساعة ، قضاها إيثان و جيمز في محاولة تخمين هوية الضيف الذي سيستقبله بايت. القرية تقع بين تلتين ؛ أكبر حجماً من روانز ستون ، ومأهولة بضعف عدد السكان. عندما وصلوا إلى الطريق الرئيس الذي يقسم القرية إلى نصفين ، أعطى الجنديان إيعازاً غير ملفوظ بالإسراع ، فغرز جيمز كعبه في ضلوع فير لتخب وراءهما.

تسلقت الخيول الأربعة التل الشرقي بسرعة مثيرةً غيوماً من الغبار. ومن هنا يمكنك رؤية قمم أبراج القلعة بوضوح ، ابتعدت تورج نحو فرسخ واحد أو أكثر بقليل. وقبل أن يشعر جيمز بمرور الوقت ، وبعد وقت من الركوب عبر الأراضي والطرق ، وصلوا أخيراً إلى البلدة المتاخمة للقلعة.

أبطأ الجنديان ، فأبطأ صبيّا المزرعة رداً. البلدة المحيطة بتورج تغطي مساحة ضيقة حول القلعة ، غير محاطة بالأسوار -كما يعلم جيمز كيف تكون البلدات الكبيرة- ، أبنيتها عبارة عن طابقين أو ثلاث -بناءان أو ثلاثة ترتفع إلى أربعة طوابق- مبنية بالحجارة والخشب ، وأفضلها مملطة بالجص. وشوارعها معبدة بالحجارة التي أكلها الزمان وحوافر الخيول والعربات. ورجالها قساة المعالم ، جميعهم يشبهون بعضهم ، وجميعهم يشبههم جيمز وابني عميه. في هذه البلدة ولد السير رايان لاوريل ، وفيها تزوج أم جيمز الليدي إينيس -قبل أن يصبحا فارساً وسيدته- ، وفيها رزقا بجيمز.

يبدو على البلدة أنها تتجهز للاستقبال أيضاً ، الرجال والنساء ينتظرون بترقب واحد ، يرتدون أفضل ما لديهم من ثياب ، ويتمتمون بأسئلة لبعضهم عن وصول الضيوف -سمع جيمز رجلاً يسأل آخر بتعجب :«هل هذان هما؟» ويشير إلى رفقة جيمز ، فأجابه الآخر :«أيها الأحمق. إنهما مزارعان ، أبناء لاوريل»- ، وأغلب جنود القلعة يخفرون شوارع البلدة ليتأكدوا من عدم حدوث مشاكل أمام الضيوف.

أشار جيمز لإيثان قائلاً :«يبدو أن تخميننا في محله ، إنه ضيف» ، فهز إيثان رأسه موافقاً بفخر.

بين برجي حراسة عاليين في سور القلعة ، كانت البوابة مفتوحة على مصراعيها الثقيلين المصنوعين من خشب الزان المطعم بالفولاذ. سأل حارس يقف بجانب البوابة بذهن غائب :«من هذان؟» ، ولو كان يوجد أحد في مرمى حديث الرجل ، لما استطاع أحد أن يعرف أنه يحدث الجنديين الراكبين مع جيمز.

أجاب الجندي الطويل :«أبناء لاوريل ، طلبهما حضرة اللورد». كان بإمكان الرجل ألا يجيب ، ولم يكن حارس البوابة ليكون أقل اكتراثاً. أطلق الجندي نخيراً وقال موجهاً حديثه لجيمز وإيثان :«سيأخذ أحدهم خيليكما... إذا كان في هذه القلعة رجل لا يلهيه التفكير بواجبه عن القيام بواجبه اللعين» ثم أصدر صفيراً حاداً بين سنيه وشفته السفلى ، لينبه صبي اسطبل يجري بسرعة في الساحة.

أخذ صبي الاسطبل عنان الخيلين ، وعيناه مشغولتان ، ظن جيمز أنه نظر إليه بطريقة مقارنة بين جيمز وابن عمه ونفسه ، لكنه سرعان ما أحكم قبضته على لجام المطيتين ونادى عامل اسطبل آخر.

أتى العامل ومعه قيم الاسطبل -السيد راكما الذي يعرفه جيمز- الذي رحب بجيمز قائلاً :«السير لاوريل ، ومن هذا ، لا بد أنه ابن عمك ، سير لاوريل آخر».

«كفاك سخرية ، سيد راكما ، أنت تعلم أنك أقرب مني إلى الفروسية» ، أجابه جيمز مبتسماً ، وأتبع ضاحكاً :«لقد طلبني سيدك ، هل أنت واثق أنه لا يريدني أن أساعدك في تنظيف الاسطبل ، أجبني ، ألست أنت وراء هذا؟».

قال راكما وهو يأخذ خيول الجنديين :«ليته كان كذلك ، الآلهة تعلم أن الإسطبلات في حالتها هذه بحاجة إلى فرسان شجعان لتنظيفها ، يستحسن أن يكونوا قتلة تنانين ، فقد وجد تيسر جرذاً بحجم تنين» وأشار إلى الصبي الذي أخذ عنان فير و وينتركلاود ، «الأحمق ترك الشيء اللعين يهرب في جهة ، وهرب هو في الجهة الأخرى».

ضحك جيمز مجاملاً قيم الاسطبل السمين الذي سحب الأحصنة في طريقه إلى الاسطبل الخلفي وهو يضحك على نكتته. ثم تبع مع إيثان الجنديين إلى بوابة القلعة الداخلية بعد الساحة المزهرة. تتألف قلعة تورج من ثلاثة أبراج ، أقدمها برج رباعي الأضلاع ، وهو أقصر الثلاثة وأوسعها مساحة ، والآخرَان برجان أسطوانيان مقببان بقبتين متماثلتين من القرميد الرمادي. بالإضافة إلى المباني القصيرة التي تخدم القلعة وتصل أبراجها ببعض. القلعة هدمت وأعيد بناؤها ثلاث مرات في التاريخ الحديث : حسبما قرأه جيمز ، المرة الأولى عندما خلع الملك تيريل هانس أرض السارين -التي تضم تورج- من سلطة الملك راكان بورجيا ، وضمها إلى مملكة هانس اليافعة حينها ولا يرد ذكرٌ يؤكد أي الطرفين هدم القلعة ، ومرة أخرى عندما قرر بورجيا آخر أن يحرق أرض السارين عن بكرة أبيها فيما عرف بـ"إعادة الفتح الأول" ، وآخر مرة عندما حاصرها الملك بينيت هانس الأول في حقبة استقلال أرض السارين ، حيث رفض لورد تورج حينها الاستسلام حتى بعد هزيمة اللورد "داريس أورندال" الذي دعا نفسه بملك السارين.

وصل جيمز إلى البهو ، ليجد اللورد بايت ريدلر يعطي الأوامر لخدم القلعة ذوي اللباس الأخضر الغامق والأسود ، الذي يحمل فحل آل ريدلر على الصدر. «لن تكفي الشموع ، فلتعلقوا مصابيح الزيت على الثريات ، لماذا علي أنا أن أخبركم بهذا ، أين وايد؟ آه جيمز لقد أتيت أخيراً».

-«سيدي اللورد...»بدأ جيمز كلامه ولكن سرعان ما قاطعه بايت.

«لا وقت ، وايد ، أين هذا الملعون. إيثان ، ألست إيثان ، أم أنك "كلايس"».

أجاب إيثان :«إيثان ، سيدي اللورد ، وابن عمي...».

قال بايت مقاطعاً مجدداً :«مرحبا بك على أي حال ، وايد ، ها أنت ، فلتصحب جيمز وإيثان ، احرص على أن يحظيا بحمام منعش ، لكن ليس حماماً طويلاً ، واجلب لهما ثياباً يرتديانها ، ثم عد وأصلح وضع المصابيح اللعينة».

حاول جيمز أن يتحدث «لورد ريدلر ، لو أنك شرحت لي...».

-«لا وقت ، وايد سيشرح لك» ، ثم وجه بقية كلامه لوايد «لكن لا تستطرد ، عليك أن تعود لتشرح لي لماذا هنالك بساط أصفر في البهو ، أصفر من بين كل الألوان اللعينة».

-«كما يشاء حضرة اللورد» طأطأ وايد رأسه باحترام وألقى نظرة متعبة نحو البساط الذي لم يعجب حضرة اللورد ، ثم أشار لجيمز وإيثان بيده ليتبعاه. عبر بهما دهليزاً طويلاً لا يفتقر إلى خدم يجرون بهلع من مكان إلى آخر ، حتى كاد أحدهم يسقط وايد دون أن يلحظ وجوده حتى ، ألقى أمين القلعة شتيمة قبل أن ينعطف يساراً ، ثم يساراً مرة أخرى حيث تبدأ مجموعة من السلالم العريضة التي تقود إلى جناح حجرات اللورد.

شرح وايد وهو يعبر بهم دهليزاً طويلاً أقدام مضاء بالمشاعل :«اللورد ميدلروز قادم للزيارة ، وصلتنا الحمامة حاملة النبأ منذ أيام ، ومن حينها وحضرة اللورد قلق ويتصرف بتوتر».

سأل إيثان :«اللورد بالين ميدلروز؟ لورد أرض السارين؟».

صحح وايد اللقب :«لورد "حصن الجبل" والسيد القائم على أرض السارين» ثم أشار لهما بالمرور عبر باب وهو يكمل «يأتي حضرة اللورد ميدلروز ليمنح التعازي بوفاة اللورد تونموند ، ومتوقع أن يأتي معه رهط من الضيوف ، وأراد اللورد بايت أن تكون ضمن المستقبلين ، تعلمان ، كرامة لحضرة الفارس السير رايان». هز إيثان رأسه موافقاً ، ورمق جيمز بنظرة ذات معنى.

كانت أربعة أحواض استحمام مصفوفة في أحد حجرات الاستحمام ، ووجه وايد خادمين ليعودا بدلاء الماء الساخن وقاما بملء اثنين منها وإضافة الزيوت المعطرة. وعندما انتهيا ، نظر إيثان إلى جيمز ورفع كتفيه قائلاً :«لعلي سأستمتع بهذا رغم كل شيء» ، ثم خلع ثيابه على عجل وكومها بجانب الحوض ، وأطلق صوتاً حاداً من حنجرته وهو ينزل في الماء الدافئ. «اللعنة ، إنه أفضل من أي حمام أخذته في بيت المزرعة».

قال جيمز وهو يخلع سراويله :«لا تعتد على هذا ، من السهل أن تحب أن يخدمك الآخرون ، ثم عندما يجب عليك أن تعتمد على نفسك مجدداً...» ، أصدر جيمز الصوت ذاته وهو ينزل في الحوض الآخر ، ثم أغمض عينيه وترك جملته دون أن يكملها.

بعد وقت قصير دخل خادم آخر ليضع المناشف وثياباً مطوية على منضدة ، ويجمع ثياب جيمز وإيثان وخرج بها دون أن يقول شيئاً ، نهض إيثان من فوره ليتفحص الثياب التي زودهم بها اللورد بايت ، فتح جيمز عينه اليمنى ليسترق النظر إلى الملابس أيضاً ، عدا عن الملابس الصغيرة ، كان هنالك سراويل من الكتان الفخم سوداء اللون ومطعمة بخطوط بيضاء في نهايتها ، وزوجاً آخر لونه أخضر غامق مطرز حتى وسط الفخذين بخطوط متعرجة من اللون الخمري ، وقميصين متماثلين من الحرير أحدهما أسود والآخر أبيض ، ومعطف من الكتان يقابل كلاً من السراويل ، أحدهما خمري مع خط عريض من الأخضر يتوسطه من الصدر إلى نهاية الرداء ، وخط مشابه على جانب كل من الكمين ، والآخر أسود أسفله مطرز بالأبيض بخطوط متعرجة تصل إلى وسط البطن ، وعباءتين من الساتان الناعم أحدهما فضي ، والآخر أحمر.

قال جيمز بصوت هادئ :«سآخذ الثياب الخضراء».

أجاب إيثان :«هنيئاً لك بها ، تبدو كثياب الغجر ، لو كان الغجر لوردات أو أثرياء». وبدأ يجفف نفسه بسرعة ليرتدي ثيابه الجديدة.

-«فلتخبر اللورد ريدلر بهذا عندما تراه ، لا أشك بأنه سيرتدي لوني عائلته الأخضر والأسود ، لعلك تسأله أيضاً إذا كان جده غجرياً».

قال إيثان وهو يقفز على رجل واحدة بينما يحشو الأخرى في السراويل السوداء :«ظريف حقاً. هل فرغت من حمامك بعد؟».

«أجل» أجاب جيمز وخرج ليرتدي ثيابه المستعارة ، وعندها فقط انتبه إلى شعار عائلة لاوريل المطرز على صدر الرداء ، الأفعى ذات الرؤوس الخمس. ***لا بد أن بايت أمر بصنعها منذ أيام ، هذا شيء لم أره منذ فترة***.

دخل وايد ليرى جيمز وإيثان بعد أن فرغا من ارتداء ملابسهما وتنسيق شعرهما على مرآة كبيرة خارج حجرة الاستحمام ، وهز رأسه برضاً ثم قال :«سيخرج حضرة اللورد للاستقبال قريباً ، فلترافقاني قبل أن ينسى أنه أرسلني لأحضركما ويبدأ بالصراخ بحثاً عني. أيها السادة».

«قد الطريق» أجاب إيثان بالتهذيب الذي تعلمه في ريدفيلد وتحرك خلف وايد مع جيمز.

قادهما وايد عبر الردهة الطويلة مجدداً ، ونزل لكنه لم ينعطف في الاتجاه الذي جاء منه المرة الماضية ، ثم نزل بهم مجموعة أخرى من السلالم المنحنية ليأخذ طريقاً آخر يخرج بهم إلى الفسحة أمام اسطبلات اللورد ، حيث وقف بايت يخوض في حديث مع قيم اسطبلاته.

-«أظن أن السيد راكما يعرف كيف يمسك بعنان الخيل ، سيدي اللورد. فلتكف عن القلق بالتفاصيل ، حتى تبدو مسترخياً أمام حضرة اللورد ميدلروز» قال وايد فور أن وصل إلى مدى سمع بايت.

استدار بايت وعبس في وجه وايد لكنه ما أن فتح فمه ليرد ، حتى لاحظ جيمز وإيثان القادمين معه. تغيرت الملامح على وجه بايت إلى شيء أقرب إلى الاستمتاع ، وقال :«تبدوان... وسيمين ، أيها السادة ، وسيمين فعلاً إذا كان ذلك رأيي». ثم تغيرت ملامحه إلى القلق بالسرعة نفسها وقال :«أوه جيمز ، يجب أن نخرج ، سيصل ضيوفنا قبل أن تستطيع قول "بورِك النبي" ، أين الخيول اللعينة».

كان السيد راكما قد انسل من خلف بايت ودخل الاسطبل من بابه الواسع ليشرف على إخراج الخيول. وسرعان ما عاد ومعه مطية بايت ؛ التي هي عبارة عن أضخم فحل أسود رآه جيمز في حياته. ومن خلفه أتى أربعة من عمال الاسطبل ، كل منهم يجر خيلاً مسرجاً.

أعطى الصبي الذي يدعى تيسر عنان فير لجيمز قائلاً :«سيدي اللورد» ، ولم تعد نظراته تحمل شيئاً من المقارنة التي رآها جيمز قبل ساعات قصيرة ؛ في الواقع لم يظن جيمز أن الصبي تعرف على جيمز لولا أنه عاد ليأخذ الفرس ذاتها. رأى جيمز إيثان يأخذ عنان خيل مرقط وهو يدرسه بعمق. ثم امتطى اللورد بايت ليتبعه الجميع.

في المجمل لم يكن في الساحة أحد غيرهم بالإضافة للسيد كالسن وكيل اللورد -ودستة من جنود القلعة- ممن سيستقبل حضرة اللورد ميدلروز. رفقة صغيرة جداً ، لترضي فخر لورد صغير جداً.

-«لعله كان علي أن أدعو ابن عمك الآخر ، "كلايس"» قال بايت ، عندما وصل جيمز إلى جواره ، تاركاً خلفه إيثان مع وايد وكالسن وقائد الحرس السيد ثيور. «اللورد ميدلروز سيأتي ومعه دستة من الأشخاص ذوي الرتبة ، ولا أستطيع أن أجمع نصف ذلك العدد وأنا في قلعتي». ***هنيئاً لك بآل لاوريل. ذوي رتبة!*** فكر جيمز وكاد يضحك.

-«لا أظن أن اللورد ميدلروز سيتوقع منك أن تخرج الملك بيرثولد وبعض الوزراء من جيبك لتفاجئه ، لورد بايت». قال جيمز ، وأضاف بنبرة مواسية :«تعلم الآلهة أن تورج تقع في نهاية العالم».

-«لو أنه أعلمنا بقدومه قبل وقت أطول ، لاستطعت أن أستدعي بعضاً من الفرسان أتباعي إلى تورج ، السير توريك مولن وحده كان ليكفي ؛ الرجل يستطيع اختلاق محادثة عن بقة عركها ببسالة ، ويستطرد حتى الصباح إن لم يسكته أحد». قهقه بايت ثم أكمل :«اقترح وايد أن أستدعي عمدات القرى ، والتجار المتواجدين في البلدة. اقتراح أحمق. لا تعلم ما الذي سيعتبره اللورد ميدلروز إهانة ، ولا أنوي أن أهين اللورد ولي أمري في أول مرة يقابلني فيها». حاول جيمز أن يحشر كلمة بين كلمات بايت المتسارعة ، لكنه لم يعط بالاً ، وأكمل يقول :«لو أنه فقط أعلمنا بقدومه قبل ذلك ، ما رأيك يا جيمز».

أجاب جيمز وبايت ينظر إليه بترقب :«لن يكون الوضع سيئاً ، صدقني سيدي اللورد ، بل سيكون حضرة اللورد ممتناً لأنك لم تدعه يجلس في سرجه طويلاً بينما تقدم له مجموعة طويلة من الأشخاص الذين لن يتذكر أسماءهم بعد برهة».

هز بايت برأسه ، وإن لم يبد عليه الاقتناع ، لكنه رفع ظهره وجلس معتدلاً في سرجه.

مضى الركوب إلى خارج شوارع البلدة وإلى الجنوب ، ليستقروا فوق الهضبة الأقرب إلى القلعة والتي أخلاها الحراس اليوم من رعاة الغنم ، وبدأ انتظار بادرة وصول ركب اللورد ميدلروز.

وقفوا تحت الشمس التي بدأت تميل الآن نحو المغيب بصمت وتوتر ، وبين الفينة والأخرى طرح بايت سؤالاً لوايد عن التجهيزات طرده الآخر بجواب بسيط عن عدم حاجة اللورد للقلق. أو علق أحدهم عن تأخر اللورد ميدلروز ، الذي كان يفترض أن يصل عصر اليوم حسب ما أرسله البارحة.

-«ها هم هنالك» قال أحد حراس القلعة مشيراً بيده نحو الجنوب والغرب تقريباً. وعندما نظر جيمز رأى شيئاً يتحرك بين الظلال على الطريق ، ثم تعرف أشكال الخيالة والرايات المرفوعة التي جعلتها زاوية الشمس الغاربة تبدو رمادية. لم يستطع جيمز التأكد من عدد الركاب إلا عندما اقتربوا أكثر. خمسون رجلاً أو أكثر بدستة ؛ أو اثنتين، أغلبهم من الحراس ذوي الزي الأصفر والأسود والدروع الخفيفة ، ويتوسطهم رجل توقع جيمز أنه حضرة اللورد ، يركب إلى جواره رجل قاسي الملامح ، ويبدوان وكأنهما في وسط حديث ما. وخلفه باقي الرهط من ركب الشرف.

همز بايت فحله ليتقدم ، فتبعه جيمز وبجانبه إيثان وخلفهما وايد وثيور وكالسن وتحرك الحرس في مؤخرة الركب.

عندما التقى الجمعان أسفل الهضبة ، تقدم اللورد ميدلروز مبتسماً ، ولم يتأخر الرجل الراكب بجانبه عنه. قابل حضرة اللورد بابتسامته بايت وجيمز وإيثان ، وكأنه يبحث عن مضيفه بينهم. ثم وجه كلامه نحو بايت.

-«تبدو كوالدك تماماً ، ريدلر».

أجاب بايت بخشوع :«فلتحفظك الآلهة قادماً وراحلاً ، سيدي اللورد. شرفت تورج بزيارتك». أجاب حضرة اللورد بهزة من رأسه ولم تغب ابتسامته بعد. أكمل بايت :«أرحب بك و بضيوفك سيدي اللورد ، وسأتشرف بالتعرف إليهم».

ترمش اللورد بالين ميدلروز ، ثم قال :«أجل ، ذلك الأمر. لورد ريدلر ، أقدم لك السير كينيث كايلب» ، وأشار بكفه إلى الرجل الراكب بجواره مكملاً :«فخر أرض السارين ، الفارس الأسطوري الذي لا يهزم وإلى ما هنالك. في الواقع ، كدت أن أرجو السير كايلب ليأتي معي بدلاً من آمره بذلك ، إنه رجل الملك الآن ، وأظنه نسي أنه يدين لي بالولاء كذلك».

أجاب السير كايلب بنبرة رافضة :«أستميح سيدي اللورد ، إنني رجل سيدي اللورد كما كنت دوماً ، وأذهب حيث يأمرني ، إن لم يتضارب ذلك مع أمر جلالة الملك». ثم وجه ابتسامة لم تمس عينيه نحو بايت ، وقال :«عرفت والدك أيضاً ، سيدي اللورد ، وركبت بجانبه في حرب الأحلاف ، والآن أتشرف بمقابلة ابنه».

قال بايت الذي غلبته الدهشة في مرحلة ما :«الشرف لي سير كايلب ، سررت بمقابلة رجل بسمعتك أيها الفارس». هز السير كينيث رأسه بامتنان.

قال اللورد ميدلروز معلقاً :«سيأخذ هذا بعض الوقت» ، ثم عدد وهو يشير بكفه نحو صاحب كل اسم قائلاً :«دعني أقدم لك اللورد فلين مولسكواير ، سيكون اللورد مولسكواير أكثرنا سعادة عندما يترجل عن خيله ، كانت رحلتنا أقل من مريحة بالنسبة إليه. واللورد جيرارد بيك حامي قلعة بوابة إلمان ، وسيدته الليدي لوكن بيك. الليدي جون مادن. السير لورن بايكر حامي حصن الحجر الأسود. السير إيجور توريان قائد كتيبة السارين من حراس المعبد. السير فالن روجتايكر. وأخيراً السير بينيت جرامدون» ؛ تاركاً فسحة من الوقت لبايت ليشير إلى كل منهم بترحيب :«تشرفت بمقابلتك» أو «سعدت بزيارتك» ، ولكل منهم ليرد بكلمة أو اثنتين على سبيل :«الشرف لي» أو «سعدت بمعرفتك».

لم تكن معالم المفاجأة لتخفي نفسها مهما حاول بايت كبتها ، فقد اتسعت عيناه بعد كل اسم حتى ظن جيمز بأنهما ستقعان من وجهه. ثم بعد محاولة لتمالك نفسه أشار إلى أبناء لاوريل قائلاً :«أقدم لك جيمز وإيثان سليلي عائلة لاوريل ، وخادمي حضرة اللورد».

كانت ردة الفعل الأغرب من نصيب اللورد مولسكواير ، الذي أرخى فكه ثم قال :«ابني لاوريل؟ ما هذا تحت قبة الآلهة الذي يفعله أبناء لاوريل في تورج».

رمق اللورد ميدلروز اللورد الأدنى منه شأناً بنظرة مؤنبة ، فأطبق اللورد فلين مولسكواير فمه. عندئذ نطق حضرة اللورد :«لي بالغ الشرف بمقابلة ابن لآل لاوريل أينما كان. لكن ليس عليّ أن أشك بكلمة اللورد ريدلر بأنكما تنحدران من ذرية حضرة اللورد ماكسميل ، لقد خضنا في هذا الأمر منذ نحو عشرين عاماً. أيكما ابن السير رايان؟».

أجاب جيمز :«أنا ابن السير رايان ، سيدي اللورد ميدلروز. جيمز لاوريل ، أتشرف بمقابلتك».

ابتسم السير كينيث قائلاً :«السير رايان لاوريل الأسطوري ، من يعرفه شخصاً فليس له أن يندهش بمقابلة رجل مثلي. لورد ريدلر. أتشرف بك سيد لاوريل». هز اللورد ميدلروز رأسه مع كل كلمة قالها السير كايلب ليؤكد على صحتها.

أجاب بايت بحنكة :«قلائل هم من تتسنى لهم الفرصة لمعرفة الرجلين ، سير كايلب». ثم ترك المجال لجيمز ليجيب.

-«شرف كبير لي يا سيدي ، أن أقابل صاحب الاسم الذي كنت أسمعه في صغري ، عند كل مجد يحتسب في مملكة هانس» ، أجاب جيمز. واكتفى إيثان بحني رأسه مبتسماً.

قال بايت عندما بدأ اللورد ميدلروز ينظر حوله متململاً :«فلنعد إذاً إلى القلعة إذا سمح سيدي اللورد. لا شك أن حضرة اللورد مولسكواير ليس الوحيد الذي سيسعد بالترجل ، أو بحمّام ساخن يغسل عرق السفر وغباره».

هز اللورد ميدلروز رأسه بشكل لا يداخله اعتراض ، وهمز خيله ليتقدم نحو بايت ، الذي شد عنان فحله ليدور به نحو القلعة وبدأ يخطو بجانب اللورد ميدلروز. ومن جانبيهما نحرك حرس قلعة تورج متأخرين عن اللوردين بضع خطوات. دار جيمز بفرسه وأشار إلى إيثان ليتبعه ، فتقدم الأخير بحماس إلى جانب جيمز ، ثم نظر يمينا ويساراً ليرى من يركب بالقرب منهم ، ثم عندما قرر أن الوضع يسمح لكلماته بأن يسمعها جيمز دون أحد آخر ، اقترب من جيمز حتى كادت ركبتاهما تتلامسان وتكلم بصوت منخفض.

-«حضرة اللورد ميدلروز يبدو رجلاً جيداً».

رفع جيمز حاجباً نحو ابن عمه ورد قائلاً :«يعتمد هذا على ما ستقوله تالياً ، يمكنك أن تقول نفس الجملة عن بائع فاكهة يراعيك بأسعار بضاعته».

أجاب إيثان تعِباً كأنما يشرح شيئاً للمرة الثالثة لطفل في الخامسة :«لمَ بحق ما تحت قبّة الآلهة قد أدعو بائع فاكهة بحضرة اللورد. ما سأقوله تالياً هو أن حضرة اللورد قد يستمع إلى مشكلتنا. وقد يساعدنا في حلها ، إذا استعطفناه بالطريقة الصحيحة».

*ها قد بدأنا.* فكر جيمز بإرهاق. دائماً ما نجح جيمز باستفزاز ابن عمه إيثان -وكلاوس أيضاً- عندما يلعب دور المغفل الذي لا يدري عمّ تتكلم. رغم أنه يعلم أن إيثان -وكلاوس أيضاً. ربما كلاوس أكثر من إيثان- سيرى في أي شيءٍ فرصة لآل لاوريل للعودة إلى ريدفيلد واسترجاع حقهم في حماية القلعة. ذات مرة عاد كلاوس من فيرينجروز يلهث ويلتقط أنفاسه بالكاد ، لأنه سمع من عابر سبيل أن أحد العائلات عادت إلى مزرعة تتبع لقرية تتبع للقلعة ، أو ربما كانت عائلة جديدة استولت على تلك المزرعة ، وجادل بأن عائلة واحدة تكفي للبدء من جديد وأن المزيد من الناس سيأتون قريباً ، وكلف إقناعه بأن "سماعه" للأمر لا يعني صحته وقتاً أطول من إقناعه بأن عائلة واحدة لا تكفي لخدمة القلعة فقط.

-«أية مشكلة؟» ، قال جيمز؛ كمغفل لا يدري عمّ تتكلم.

طوى إيثان شفتيه ورفع حاجبيه ، ثم أخذ شهيقاً طويلاً ، لكنه لم يجب على السؤال.

مرت الخيول عبر الشارع العريض الذي يتجه إلى القلعة وسط بلدة تورج ، حيث تجمع الناس ليلقوا نظرة على ضيوف سيدهم اللورد. واستقبلت الجماعة أهازيج الترحيب من الأهالي ، وفرشت الأرض بكميات معقولة من حبوب الرز والقمح وأوراق الورود. بينما كان الحرس الذين أتوا مع حضرة اللورد ميدلروز يحاولون النظر في كل الاتجاهات في آن واحد بحثاً عن نوع من الخطر الذي قد يحيق بوليّ أمرهم.

-«أنسى دائماً كم أن قلاع أرض السارين صغيرة» ، قال السير كايلب وهو يدنو من جيمز وإيثان وهم يدخلون بوابة السور.

أجاب جيمز :«أوليس هذا طريفاً ، أيها الفارس. لطالما ظن أهل هانس أن الخطر لن يأتي إلا من الجنوب ، ومع ذلك خضنا حروباً مع ويتفورد أقسى من تلك مع ليناريا ، أو شينجيريا والممالك الأخرى».

ابتسم السير كايلب ، وإن لم تفعل عيناه. «سادة هانس الكبار ينحدرون من أصول أرفيكية ، كسادة ويتفورد. وأظن أنهم يراهنون على أصولهم المشتركة بشكل كبير». قال السير كايلب ، ثم نظر إلى جيمز وإيثان بفضول وأكمل :«أنتما أيضاً أرفيكيان ، أليس كذلك؟ لعلكم تعلمون ما لا أعلمه. أولم يتنبأ قداسة النبي جيكال بأن رجلاً أرفيكياً سيحكم إيدن من أقصى الشمال إلى أدنى الجنوب ، لذا عندما يشن جلالة الملك حملة على مملكة جنوبية لا نملك إلا أن نطيعه».

الديانة التي يتبعها جيمز -هو والسير كايلب وغالب أهل المملكة- مليئة بالنبوءات التي تعلمها في مكان ما في مؤخرة رأسك ، لكن من السهل أن تعيش دون أن تتذكر أن من المحتم حدوثها في نهاية الأمر.

كان ذلك عندما ترجل اللورد ميدلروز عن خيله ليسلم العنان لصبي اسطبل ، ثم نظر خلفه باحثاً عن السير كايلب. «اللورد بايت يدعونا لرحلة قنص سير كايلب ، ما قولك؟».

أجاب الفارس قائلاً :«لكان ذلك من دواعي سروري لورد ريدلر ، لكنني لست بارعاً في تقفي أثر دجاجة مشوية في مطبخ **القصر العظيم** ، ثم إنني لا أملك وقتاً لذلك أيضاً ، أخشى أنني لن أبقى طويلاً في ضيافة حضرتك ، فعلي واجب في هانسبيرغ ولا يمكنني التهرب منه طويلاً».

ظهرت معالم خيبة الأمل على وجه بايت ، لكنه وجه كلامه لوايد :«إذاً فليس هنالك وقت نضيعه. وايد فلتري ضيوفنا الأكارم حجراتهم ، واحرص على توفير حمام ساخن لحضرة اللورد مولسكواير بسرعة».

هز وايد برأسه وتمتم بكلمات الطاعة ، ثم هرول نحو بوابة القلعة وبدأ بإعطاء الأوامر للخدم ، الذين استقبلوا الضيوف فور دخولهم ، وبدأوا يقتادونهم نحو شققهم واحداً تلو الآخر

تأخر اللورد ميدلروز واقفاً مع بايت ، وقال :«سننتهي من مراسم تنصيبك صباح الغد إذاً ، فلم يعد هنالك وقت لذلك اليوم».

أجاب بايت بأدب :«كما يشاء حضرة اللورد ، لكننا سنولم الليلة بكل تأكيد».

هز اللورد ميدلروز برأسه موافقاً ، ثم أشار لوايد الذي وقف منتظراً ليقود الطريق ، تاركاً جيمز وإيثان وحدهما مع بايت.

بدا وجه بايت متعباً وهو يقول :«كان يمكن أن يكون الوضع أسوأ من هذا» ، ثم أطلق ضحكة تكاد تكون مجبرة. «سيعاني وايد في إيجاد حجرة لكل شخص ، تعلم الآلهة أن القلعة ستكون مزدحمة لأيام».

سأل إيثان :«ما المراسم التي يتحدث عنها حضرة اللورد ، سيدي اللورد؟».

أجاب بايت :«مراسم مباركة الملك لتوليَّ حماية قلعة تورج. في الماضي كان الملك يأتي بنفسه لمباركة الوريث وقبوله كلورد حامٍ لقلعته -القلعة مُلك للملك قانوناً بالطبع- هل تتخيل ذلك إيثان ، تعلم الآلهة أننا بلغنا حدود طاقتنا لنستقبل اللورد ميدلروز ، ولا أريد أن أتخيل من كان الملك ليجلب معه. أوه لا أريد أبداً ، فلتذهبا وتستريحا ، الوليمة بعد ساعتين. كونا هناك».

أجاب جيمز وإيثان بصوت واحد :«كما تأمر سيدي اللورد».

كانت الحجرة التي تشاركها جيمز وإيثان في الدور الثالث من البرج المربع الذي يشغل الخدم معظمه ، لكنها كانت حجرة جيدة -أكبر وحدها من بيت جيمز- ، تتمتع بفرش محلي الصنع ، وسريرين صغيرين من الخشب الداكن. وقد جهزها الخدم لتستقبل جيمز وإيثان ، فقد كانت ستة مصابيح زيتية ذات مرايا مضاءة ، وإبريق المغسلة ممتلئاً ، وفي زاوية من زوايا غرفة الجلوس طاولة عالية عليها إبريق من النبيذ الربيعي المثلج وثمانية أكواب من النحاس المنقوش.

تناول إيثان الإبريق وكوبين وتبع جيمز إلى الكراسي الخشبية المنجدة بالكتان الأحمر السميك بحيث لا تشعر بحشوة القش. وجلس مقابلاً له واضعاً الكوبين على المنضدة بينهما وملأهما بالنبيذ.

كانت عينا إيثان على كوب جيمز الذي بدأ يبني طبقة من الرغوة الوردية ويبعث روائح فاكهة الربيع ، وقال بشرود :«أظن كوباً من النبيذ لن يضرنا قبل الوليمة. ستسنح لنا الفرصة بالحديث إلى اللورد ميدلروز والسير كايلب».

تناول جيمز الكوب ورفعه نحو فمه لتملأ أنفه رائحة توتية ، ثم أخذ رشفة لتثبت النكهة اشتباهه. كان نبيذاً جيداً مزاجه بالفراولة الطازجة ، لكنه كان حلواً زيادة عن اللزوم. «إيثان ، لو علمت أن اللورد ميدلروز قد ينفعنا في استعادة ريدفيلد لكنت رجوته بنفسي. لكن الأمر ليس سهلاً ، بل هو أقرب إلى المستحيل».

-«أوه أعلم» أجاب إيثان بعد أن تجرع من نبيذه. «لكنني أريده أن يعلم بوجودنا. أن يعلم أننا لسنا كما نبدو ، أننا نرتدي ملابس مستعارة ، ونولم معه ونرافقه في حين يجدر بنا أن نرعى خرافنا ونجهزها للجز في نهاية الربيع ، إذا أردنا أن نأكل بقية العام».

هز جيمز يده مرجئاً بقية الحديث. وهز إيثان رأسه متقبلاً ، ثم نهض إلى جانب غرفة الجلوس ، حيث بحث في رف للكتب عن شيء يؤنسه ريثما يحل موعد الوليمة. وبدا كأنه وجد عنواناً أعجبه من الابتسامة التي ملأت وجهه. بل وإنه جلب لجيمز كتاباً آخر ، نسخة من "دراسة الجال تورجان : عن تدين النيراليين قبل وبعد الفتح الأرفيكي".

كان كتاباً مملاً ، مكتوباً بطريقة قديمة ، مقدمته تزيد عن أربعين صفحة ، يتحدث فيها الجال تورجان عن صعوبة بحثه عن مراجع ليثبت قضية الكتاب ، وعن سفره من هانسبيرغ إلى مملكة داين مروراً بويتفورد وفورغايتس وماندرفورت -قبل إنشاء جسر ماركولوم بسنوات طويلة ، حسب ما فهم جيمز. رغم أن هذا لم يشرح عدم استئجاره لسفينة-

بعد مضي ساعة ونصف حسب تقدير جيمز ، طرق مرسال اللورد ريدلر باب الحجرة ليبلغهما بالحضور إلى قاعة الاستقبال الكبيرة في الجزء الأحدث من القلعة